﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: 103]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

التَّنبيهُ على جهلِ الكافرينَ، بعدَ بيانِ خُسرانِهم المبين

في مناسبةِ هذه الآيةِ لما قبلَها وجهانِ:

أحدُهما: أنَّهُ لمّا تبيَّنَ بقولِه ﷻ: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ أنَّ الكافرينَ خَسِروا خسارةً لا رِبْحَ معَها، وخابَ ما كانوا يُؤمِّلونَ - أمرَ اللهُ جل شأنه أنْ يُنبِّهوا على ذلكَ، فقالَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾[1].

والثّاني: أنَّ هذا بيانٌ لحالِ الكفرةِ باعتبارِ ما صدرَ عنهُم مِنَ الأعمالِ الحسنةِ في أنفُسِها، وفي حُسْبانِهم أيضًا، حيثُ كانوا مُعجَبينَ بها واثقينَ بنَيْلِ ثوابِها ومشاهدةِ آثارِها، غِبَّ بيانِ حالِهم باعتبارِ أعمالِهم السَّيِّئةِ في أنفُسِها معَ كونِها حسنةً في حُسْبانِهم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُنَبِّئُكُم﴾: (نبأ) أصلٌ يدلُّ على الإتيانِ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ[3]، وعلى ظهورٍ أو طُروءٍ مسبوقٍ بخفاءٍ ما[4]، والنَّبَأُ: الخبرُ؛ لأنَّهُ يأتي مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ، قالَ جلَّ وتباركَ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص: 67]، والنَّبيُّ: مَنْ همزَهُ وقالَ: (النَّبيءُ) جعلَهُ مِنَ النَّبَأِ، وهو فعيلٌ بمعنى مفعولٍ؛ لأنَّهُ مُخبَرٌ مِنْ جهةِ اللهِ تعالى، وقيلَ: بمعنى فاعلٍ؛ لأنَّهُ يُنبِئُ الإنسانَ بما أوحيَ إليهِ[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 147، والمراغي، تفسير المراغي: 16/ 23.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 249.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبأ).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نبأ).
(5) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (نبأ).

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

الكافرونَ أخسرُ الخاسرينَ لفقدان الرُّكون لربِّ العالمين

يقولُ تعالى مُخاطِبًا نبيَّهُ مُحمَّدًا ﷺ: قُلْ - أيُّها الرسول - على جهةِ التَّقريعِ والتَّوبيخِ للكافرينَ المعاندينَ أصحابِ الأهواءِ الزّائغةِ والأعمالِ الفاسدةِ: هل نُخبركم - أيُّها القومُ الضّالّونَ - بأخسرِ النّاسَ أعمالًا؟ يعني: الَّذينَ أتعَبوا أنفُسَهم في عملٍ يبتغونَ به رِبْحًا وفضلًا، فنالوا به عَطَبًا وهلاكًا، ولم يُدرِكوا طَلَبًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ في الآيةِ الكريمة:

السّؤال المثار في السّياق، يحقّق التّناغم والاتّساق

قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ أثارَهُ مضمونُ قولِهِ: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾، فإنَّهم لمّا اتَّخَذوا مَنْ ليسوا ينفعونَهم أولياءَ، وعبَدوهم وتقرَّبوا إليهِم؛ اغترارًا بأنَّهم يدفعونَ عنهُم، وهم لا يُغْنونَ عنهُم شيئًا - كانَ عملُهم خاسرًا، وسَعْيُهم باطلًا، فالمقصودُ مِنْ هذه الجملةِ هو قولُهُ: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2].

وجهُ افتتاحِ الآيةِ بالأمرِ ﴿قُلْ﴾:

الاهتمامُ بإصغاءِ السّامعِ للمَقولِ يجذب المخاطب إلى القول

في افتتاحِ الآيةِ بالأمرِ بالقولِ في قولِ اللهِ عَظُمَتْ قُدرتُهُ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ اهتمامٌ بالمَقولِ بطلبِ إصغاءِ السّامعينَ لهُ، والتفاتِهم إليهِ؛ لأنَّ مِثلَ هذا الافتتاحِ يُشعِرُ بأنَّهُ في غرضٍ مُهِمٍّ، وللمتكلِّمِ عِنايةٌ بهِ[3].

الغرض من التعبير بالاستفهامِ في صدرِ الآيةِ:

في افتتاحِ المَقولِ باستفهامِ الكافرينَ عن إنبائِهم بالأخسرينَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 125.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 45.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 45.

التَّهكُّمُ والتَّوبيخُ من أساليب البلاغة المؤثرة في المعنى

أعمالًا في قولِه جلَّ وتبارك: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ اهتمامٌ بالمُستفهَم عنهُ، وتشويقٌ لورودِ جوابِ الاستفهام، وذلكَ يُثيرُ يقَظةَ النُّفوسِ، ويَلفِتُ انتباهَها، وهذا الاستفهامُ ليسَ على حقيقتِه، بل هو مُستعمَلٌ في العَرْضِ على جهةِ التَّهكُّم؛ لأنَّهُ بمعنى: أتُحِبّونَ أنْ نُنبِّئَكم بالأخسرينَ أعمالًا؟! وهو عَرْضُ تهكُّم؛ لأنَّ التَّنبئةَ ستتمُّ دونَ توقُّفٍ على رِضاهم[1]، وفيه توبيخٌ لهُم أيضًا[2]، وقيلَ: الاستفهامُ للتَّقريرِ، فكأنَّهم سُئِلوا فأجابوا مُقرّينَ بأنَّهم الأخسرونَ أعمالًا[3].

دلالةُ التعبير بالجمعِ في صيغةِ المتُكلِّمِ ﴿نُنَبِّئُكُم﴾:

الإيذانُ بمعلوميَّةِ النَّبأِ واشتهارِهِ، مقصدٌ في السّياق

نون الجمعُ في صيغةِ المُتكلِّمِ في قولِه جلَّ شأنُهُ: ﴿نُنَبِّئُكُم﴾؛ يجوزُ أنْ تكونَ نونَ العظَمةِ راجعةً إلى ذاتِ اللهِ لتعيينِه مِنْ أوَّلِ الأمرِ[4]، على طريقةِ الالتفاتِ في الحكايةِ، ومُقتضى الظّاهرِ أنْ يقالَ: (هل يُنبِّئُكم اللهُ)، أي: سيُنبِّئُكم، ويجوزُ أنْ تكونَ للمُتكلِّمِ المُشارِكِ راجعةً إلى الرَّسولِ ﷺ وإلى اللهِ تعالى؛ لأنَّهُ يُخبِرُهم بما يوحَى إليه مِنْ ربِّه جلَّ وتقدَّسَ، ويجوزُ أنْ تكونَ راجعةً للرَّسولِ ﷺ وللمُسلِمينَ[5].

سرُّ التَّعبيرِ بفعلِ التَّنبئةِ في ﴿نُنَبِّئُكُم﴾:

تعظيمُ شأنِ المُنبَّأ به وتفخيمُهُ مفيدٌ في الدّلالة

في التَّعبيرِ بفعلِ التَّنبئةِ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ إشارةٌ إلى عِظَمِ شأنِ المُنبَّأ بِهِ؛ فقد ذكرَ بعضُ أئمَّةِ اللُّغةِ أنَّ النَّبَأَ في الأصلِ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ، يحصلُ به عِلمٌ أو غلَبةُ ظنٍّ، ولا يقالُ للخبرِ في الأصلِ: نَبَأٌ، حتَّى يتضمَّنَ هذه الأشياءَ الثَّلاثةَ[6]، أي: هل نُخبِرُكم إخبارًا عظيمًا أيُّها التّاركونَ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 367، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 45.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 545، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 66.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4595.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 105، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 284، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 367.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 46.
(6) الراغب، المفردات: (نبأ).

مَنْ لا خالقَ ولا رازقَ لكم سِواهُ، والمُقبلونَ على مَنْ ليسَ بيدِه شيءٌ مِنْ خَلْقٍ ولا رزقٍ؟![1]، ويزيدُ التَّعظيمَ والتَّفخيمَ استعمالُ صيغةِ التَّضعيفِ في ﴿نُنَبِّئُكُم﴾، حيثُ لم يُقَلْ: (هل نُنْبِئُكم).

معنى الباءِ ودلالتها في شبه الجملة ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾:

الباءُ في قولِ اللهِ جلَّ وتقدَّسَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ للتَّعديةِ، وذلكَ لأنَّ النَّبَأَ لتضمُّنِه معنى الخبرِ، يقالُ فيه: أنبأتُهُ بكذا، كما يقالُ: أخبرتُهُ بكذا، ولتضمُّنِه معنى العِلمِ يقالُ: أنبأتُهُ كذا، كما يقالُ: أعلمتُهُ كذا[2].

التَّعديةُ لها دلالةٌ معنويّة في التّركيب

نكتةُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾ دونَ (بالخاسرينَ):

الأخسرونَ في قولِ اللهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ جمعُ أخسرَ، وهو أفعلُ تفضيلٍ، والمرادُ به الَّذينَ بلَغوا مِنَ الخُسْرانِ أقصاهُ ومُنتهاهُ، فلا خسارةَ فوقَ خسارتِهم[3]، أو أنَّهم بالنِّسبةِ للمُؤمنينَ أكثرُ خسارةً؛ لأنَّ المُؤمنينَ إنْ خَسِروا في الدُّنيا متاعَها فأولئكَ خَسِروا ما هو أعظمُ؛ وهو متاعُ الآخرةِ، وخسارةُ المُؤمنينَ لا تُذكَرُ بجوارِ خسارتِهم[4]، والأوَّلُ أبلغُ وأنسبُ بمقامِ توبيخِ الكافرينَ وتنبيههم على شدَّةِ ضلالِهم، قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: 15]، وقيلَ: يجوزُ أنْ تكونَ صيغةُ (أفعلَ) هنا مسلوبةَ التَّفضيلِ، والمعنى: قُلْ: هل نُنبِّئُكم بالخاسرينَ أعمالًا[5].

اختيارُ الجمعِ الأنسبِ بمقامِ المبالغةِ، في بيانِ خُسْرانِهم

بلاغةُ طريقِ العدول:

في قولِه جلَّ وتباركَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾

الانتقالُ مِنَ الخطابِ إلى الغَيبةِ يفيدُ التَّشويقَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 147.
(2) الراغب، المفردات: (نبأ).
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 212، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4595.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4595.
(5) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 212.

براعةٌ؛ إذ عُدِلَ فيه عن طريقةِ الخطابِ بأنْ يقالَ للمشركينَ: هل نُنبِّئُكم بأنَّكم الأخسرونَ أعمالًا، إلى طريقةِ الغَيبةِ بحيثُ يتشوَّفونَ إلى معرفةِ المرادِ بالأخسرينَ، فما يَروعُهم إلّا أنْ يَعْلَموا أنَّ المُخبَرَ عنهُم هم أنفُسُهم، وفي ذلكَ توبيخٌ لهُم، وتنبيهٌ على ما غَفَلوا عنهُ مِنْ خَيْبةِ سَعْيِهم[1].

سر التقييد بالتمييز في: ﴿أَعْمَٰلًا﴾:

خسران الأعمال أشدُّ الخسران وأقساه

انتصبَ ﴿أَعْمَٰلًا﴾ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾، على التَّمييزِ لـ ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾[2]، كما هي العادةُ في الاسمِ المنصوبِ بعدَ أفعلِ التَّفضيلِ، وفيه تبيينٌ وتفسيرٌ، لجهةِ كونِهم أخسرَ الخاسرينَ، وهي الأعمالُ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالجمعِ دونَ الإفرادِ في ﴿أَعْمَٰلًا﴾:

الخُسرانُ شاملٌ لجميعِ أعمالِ الفِرَقِ الكافرة

﴿أَعْمَٰلًا﴾ جمعُهُ هنا: إمّا لتنوُّعِ أعمالِهم وقصدِ شُمولِ الخُسْرانِ لجميعِها؛ لأنَّ أعمالَهم في الضَّلالِ مختلفةٌ، وليسوا مشتركينَ في عملٍ واحدٍ؛ فمنهُم مَنْ يعبدُ الملائكةَ، ومنهُم مَنْ يعبدُ النُّجومَ، ومنهُم مَنْ يعبدُ بعضَ الأنبياءِ، ومنهُم مَنْ يعبدُ الأوثانَ، ومنهُم مَنْ يُشرك بغيرِ ذلكَ[3]، أو لأنَّهُ مُؤوَّلٌ باسمِ فاعلٍ، فإنَّهُ يُعامَلُ معاملتَهُ حينَها، فيُجمَعُ[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّبأُ والخَبَرُ:

الخَبَرُ أعمُّ مِنَ النَّبَأِ، والنَّبَأُ يُستعمَلُ في الخَبَرِ العظيمِ

فُرِّقَ بينَ الخَبَرِ والنَّبَأِ: بأنَّ النَّبَأَ خَبَرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصلُ به عِلْمٌ أو غلبةُ ظنٍّ، ولا يقالُ للخَبَرِ: نَبَأٌ، حتَّى يتضمَّنَ هذه الأشياءَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 46.

(2) السمين، الدر المصون: 7/ 553، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 284.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 294، والنسفي، مدارك التنزيل: 2/ 322، والبقاعي، نظم الدرر: 12/ 147.

(4) الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 137.

الثَّلاثةَ، وحقُّ الخَبَرِ الَّذي يقالُ فيهِ: نَبَأٌ أنْ يخلوَ عنِ الكذبِ، كالتَّواترِ، وخبرِ اللهِ تعالى، وخبرِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ [هود: 49]، وقولُهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: 6] تنبيهٌ على أنَّهُ إذا كانَ الخَبَرُ شيئًا عظيمًا لهُ قَدْرٌ فحقُّهُ أنْ يُتوقَّفَ فيه وإنْ عُلِمَ وغلبَتْ صِحَّتُهُ على الظَّنِّ، حتَّى يُعادَ النَّظَرُ فيهِ، ويُتبيَّنَ فضْلَ تبيُّنٍ[1]، وبناءً على ذلكَ يكونُ الخَبَرُ أعمَّ مِنَ النَّبَأِ؛ لأنَّ النَّبَأَ خَبَرٌ مخصوصٌ؛ فكلُّ نَبَأٍ خَبَرٌ، وليسَ كلُّ خَبَرٍ نَبَأً.

العملُ والفعلُ:

قيلَ في الفَرْقِ بينَ العملِ والفعلِ: إن العملَ المُثابَرةُ على الشَّيءِ، لا الإتيانُ به مرَّةً أو بسرعةٍ، قالَ تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ [سبأ: 13]، والفعلَ: الإتيانُ بالشَّيءِ بسرعةٍ مِنْ غيرِ تَوانٍ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: 4][2]، وقيلَ: الأصلُ في العملِ أنْ يكونَ بقصدٍ، والفعلُ عامٌّ، يَصدُرُ بقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ، ويَصدُرُ عنِ العاقلِ وغيرِ العاقلِ، وقلَّما يُنسَبُ العملُ إلى حيوانٍ، وبناءً على ذلكَ يكونُ الفعلُ أعمَّ، والعملُ أخصَّ[3].

الفعلُ أعمُّ؛ لأنَّهُ يكونُ بقصدٍ وبغيرِ قصدٍ، ويكونُ مِنَ العاقلِ وغيرِه

(1) الراغب، المفردات: (نبأ).
(2) النزهي، الفروق اللغوية في تفسير الكلمات القرآنية، ص: 55.
(3) فاضل السامرائي، لمسات بيانية: 10/ 252.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»